تصورات الطرف الفلسطيني حول مستقبل الصراع وتداعياته حتى عام 2015

د. أحمد رأفت غضية
رئيس قسم الجغرافيا- جامعة النجاح الوطنية
نابلس- فلسطين
ahmed@najah.edu ghodieh@yahoo.co

ملخص:
ان نجاح التوقعات الفلسطينية لمستقبل الصراع الفلسطيني الاسرائيلي والعمل في ضوئها يعتمد على عدة قضايا أهمها: الفهم الدقيق للعقلية الاسرائيلية واستراتيجيتها المستقبلية، الوضوح التام في الاستراتيجية الفلسطينية (ان وجدت)،و دور القوى الدولية في حل الصراع الفلسطيني الاسرائيلي.

أما فيما يتعلق بالبند الاول والمتعلق بالفهم الفلسطيني للعقلية الاسرائيلية واستراتيجية الدولة العبرية، فان هناك تباينات كبيرة سواء كان ذلك على المستوى الرسمي الفلسطيني (السلطة الفلسطينية) أو على مستوى المسؤولين في السلطة بشكل فردي أو على مستوى القوى والفصائل الفلسطينية، وأخيرا على مستوى الشارع الفلسطيني. هذه التباينات قد تعود الى التعددية السياسية والفكرية التي يتمتع بها المجتمع الفلسطيني من ناحية، وضغوط الواقع وآمال المستقبل من ناحية اخرى.

أما فيما يتعلق بمدى وضوح الاستراتيجية الفلسطينية (ان وجدت) فإنها هلامية عديمة الحدود، تتقلص وتتمدد وتختفي احيانا وتتحول الى مجموعة من التكتيكات احيانا اخرى، حسب الظروف المحلية والاقليمية والدولية، وهذا يضعف باستمرار من الطرح الفلسطيني على الساحة الدولية، وقد تعود هذه الضبابية، التي تأخذ أحيانا شكلا من أشكال الضياع، الى تفرد تأثير الطرف الاسرائيلي بالساحة الدولية، خاصة بعد 2001/9/11.

أما دور القوى الدولية في حل الصراع الفلسطيني الاسرائيلي، فقد تغير بشكل جذري بعد تفكك الاتحاد السوفييتي السابق في مطلع التسعينات وهجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001. فلم يعد هناك دور يذكر لروسيا، وتلاشت الى حد بعيد ظاهرة القطبين وتكرست ظاهرة القطب الواحد. كما ضعف الدور الاوروبي كثيرا بعد احداث سبتمبر 2001، ولم يعد احد يجرؤ على انتقاد الولايات المتحدة، بحيث اعطت تلك الاحداث المبررات للولايات المتحدة ان تفعل ما تشاء في المكان والزمان الذي تراه مناسبا، دون ان تواجه أي انتقاد او معارضة جدية، حتى ان الرئيس الامريكي بوش قد صنف العالم الى قسمين: صنف مع الولايات المتحدة (ضد ما اسماه

الارهاب)، وصنف ضد الولايات المتحدة (مع الارهاب)، واستغلت اسرائيل هذا الوضع للتهرب من استحقاقات عملية السلام وركبت موجة مكافحة الارهاب، خاصة ان المتهمين بها هم من العرب والمسلمين. وحدث هناك تناغم وانسجام كامل بين مواقف الولايات المتحدة واسرائيل تجاه مستقبل المنطقة، بشكل يثير الشكوك الكبيرة في دوافع الولايات المتحدة الايديولوجية والدينية، حتى ان الكثير من المحللين فسروا هذا الانسجام بأنه (تحالف بين المسيحية والصهيونية ضد الاسلام). أما فيما يخص القضية الفلسطينية، فان التوافق الثقافي والسياسي لدى صانعي القرار في الولايات النمتحدة الامريكية (المحافظون الجدد) واليمين الاسرائيلي بشقيه القومي والديني، فقد شكل علامة مميزة في صبغة وطبيعة العلاقة التوسعية الاسرائيلية على المستوى العالمي.

في ظل هذه البيئة الدولية المتوترة جدا لم يعد للقانون الدولي وحقوق الانسان والامم المتحدة مكان، مما اصاب عدالة القضية الفلسطينية في مقتل، فلم تعد قرارات الامم المتحدة هي المرجعية لحل القضية الفلسطينية، وتشكلت اللجان التي كان ابرزها اللجنة الرباعية التي تهيمن عليها الولايات المتحدة. ومنذ ذلك التاريخ تراجع الاهتمام بالصراع الفلسطيني الاسرائيلي، ولم يعد يحتل مرتبة مهمة في سلم اولويات المجتمع الدولي وخاصة الولايات المتحدة الامريكية، مما اتاح لاسرائيل فرض وقائع جديدة على الارض من الصعب تجاهلها في أي حل دائم وشامل للصراع. من هذه الوقائع الجديدة تكثيف الاستيطان وخاصة حول القدس، وبناء الجدار العازل، وخلق مفاهيم جديدة تؤثر في بنية الصراع كمفهوم المستوطنات العشوائية.

في ضوء ما تقدم، فإن التوقعات والتصورات الفلسطينية لمستقبل الصراع حتى عام 2015 لن تأخذ شكل العلاقة الخطية المنتظمة، وانما سوف تخضع للتطورات على الارض من حيث طبيعتها ونسبة مساهمة كل طرف في خلقها. وفي ضوء موازين القوى وتوزيعها الجغرافي، فإن المستقبل القريب قد لا يكون سارا، ولكن يمكن ان يشكل صدمة ومن ثم صحوة و رافعة ليس فقط على الصعيد الفلسطيني ولكن على المستوى العربي والاسلامي.

1. مقدمة

ان التصورات الفلسطينية لمستقبل الصراع الفلسطيني الاسرائيلي يمكن بناؤها على التطورات السياسية المتوقعة دوليا واقليميا ومحليا في العشرة سنوات المقبلة. فهل سيبقى العالم احادي القطب ام سنكون امام عالم متعدد الاقطاب؟ ما هو مصير الحرب على العراق؟ ما هو وضع ايران في ظل الضغوط الدولية وخاصة الامريكية فيما يتعلق بملفها النووي؟ وماذا بالنسبة لسوريا وهل ستتكيف مع الضغوطات أم ستحدث مواجهة. كذلك الأمر بالنسبة لحزب الله، هل ستقدم الحكومة اللبنانية على نزع سلاح حزب الله واضعاف دوره ومن ثم السيطرة عليه استجابة للضغوط الامريكية؟ كيف سيكون وضع اللاجئين الفلسطينيين في الخارج وخاصة في لبنان والعراق؟ وماذا عن مستقبل الفصائل الفلسطينية الموجودة في سوريا؟. ماذا عن الموقف العربي تجاه كل هذه القضايا وخاصة مواقف كل من السعودية ومصر والأردن.

إرتباطا بما تقدم، هل ستنجح فكرة الشرق الأوسط الجديد (المبني على النظرية الامريكية (Vague Instability، أم ستعم الفوضى والصراع؟ ان كل هذه الموضوعات ومصيرها سوف ينعكس حتما على السيناريو السياسي في فلسطين.

كما ان الأوضاع الداخلية الفلسطينية سوف يكون لها دور هام في تحديد المستقبل السياسي الفلسطيني في العشرة سنوات القادمة. هل ستقدم السلطة الفلسطينية على تفكيك البنية التحتية للمنظمات الفلسطينية المسلحة، وماذا يمكن ان يترتب على مثل تلك الخطوة؟ هل ستؤدي الى حرب اهلية فلسطينية، خاصة ان حماس والجهاد لم توقعان على ميثاق الشرف الذي ينظم العلاقات الداخلية الفصائلية، وبينها وبين الساطة الفلسطينية؟. ان الجميع يعلن تحريم الاقتتال الفلسطيني الفلسطيني، لكن البروفة التي حصلت في غزة تنذر بخطورة الموقف، وما من شك ان لمصر تأثيرا هاما على الفصائل في هذا المجال. أم هل سيحدث تفاهم بين السلطة الفلسطينية وتلك المنظمات؟ وما هو شكل هذا التفاهم؟ هل ستقوم السلطة الفلسطينية باستيعاب المسلحين الفلسطينيين في اجهزتها المختلفة على غرار ما هو مطروح بالنسبة لكتائب شهداء الأقصى التابعة لحركة فتح (الفصيل الحاكم في السلطة الفلسطينية)؟. اذا لم تقم السلطة الفلسطينية بنزع سلاح المنظمات الفلسطينية او (تنظيم استعماله)، هل ستبقى امريكا واسرائيل تتعاملان مع القيادة الفلسطينية الحالية، أم ستقومان بمحاولة فك واعادة تركيب للسلطة بما يخدم تمرير المخطط الاسرائيلي. ان تصريحات موفاز الاخيرة بعدم امكانية

تحقيق السلام مع الجيل الفلسطيني الحالي هو في الحقيقة تهديد للقيادة الفلسطينية وانسجام مع الاستراتيجية الصهيونية المبنية على التوسع والاحتلال.

ما هو مستقبل التركيبة السياسية الداخلية الفلسطينية والاسرائيلية؟ هل سيكون لحماس التأثير الحاسم على رسم السياسات الفلسطينية من خلال تمثيلها في المجلس التشريعي القادم؟ هل ستبقى حكومة الوحدة الوطنية في اسرائيل صامدة، ام انها سوف تحل ويعلن عن انتخابات جديدة، خاصة بعد فوز بيرتس على شمعون بيرس في انتخابات حزب العمل وتوجهه نحو عقد انتخابات جديدة؟.

يجب ان لا ننسى الصراع السياسي الذي يدور بين فكرة الدولة ذات الحدود المؤقتة والذهاب للحل الدائم. فهل ستفرض اسرائيل حلها المؤقت طويل الامد باعتباره منسجما مع استراتيجيتها، وتقوم بانسحابات جديدة من مناطق أ و ب ومن جانب واحد (42% من مساحة الضفة الغربية)، لتصبح هي الدولة ذات الحدود المؤقتة؟.

كل هذه السيناريوهات والاحتمالات سوف تسهم في رسم الصورة السياسية لمستقبل الصراع في العشر سنوات القادمة، وسوف نتناول كل منها بالبحث والتحليل انطلاقا من الوقائع الحالية.

2. ألإستراتيجية الإسرائيلية تجاه الصراع: تقوم الاستراتيجة الاسرائيلية السياسية تجاه الصراع الفلسطيني الإسرائيلي والصراع العربي الاسرائيلي على الاسس التالية:

- اعتبار فلسطين الإنتدابية كلها التي رسمت حدودها في عهد الانتداب البريطاني والتي تبلغ مساحتها 27 الف كم² بما فيها الضفة الغربية وقطاع غزة جزء لا يتجزأ من ارض اسرائيل (أرييه نائور 2001).
- اعتبار الفلسطينيين مجموعة من البشر تسكن على ارض اسرائيل.
- حدود الدولة قابلة للتمدد والاتساع (صحيفة الوطن العمانية 2003).
- التحالف مع الدول الاستعمارية وخاصة الولايات المتحدة لتأمين التفوق العسكري الاستراتيجي في المنطقة.
- تحقيق نوع من الهيمنة الاقتصادية على الوطن العربي.
- احتواء أو ضرب الدول الاسلامية الاقليمية الكبيرة، والحيلولة دون امتلاكها اسلحة نووية.
- تعزيز الوجود الاسرائيلي في الدول المجاورة للدول العربية وخاصة المعادية لها (تجمع صنعاء وأمن البحر الاحمر 2005)

- المساعدة في خلق كيانات داخل الدول العربية ومعادية للعرب، من خلال الاقليات العرقية والدينية (غازي حسين 2005).

ففيما يتعلق باعتبار فلسطين التاريخية جزء لا يتجزء من ارض اسرائيل، فالشواهد على ذلك كثيرة اهمها: أ- عدم اعتراف اسرائيل انها قوة محتلة لأراضي الضفة الغربية وقطاع غزة واعتبارها ارض متنازع عليها.

ب- عدم وضع حدود جغرافية لدولة اسرائيل، فحتى الان لا توجد أي خارطة اسرائيلية تظهر عليها الحدود السياسية للدولة.

ج- اقامة الجدار العازل على اراضي الضفة الغربية، ومصادرة الأراضي والمياه الفلسطينية، واقامة المستوطنات وتوسيع ما هو قائم، وشق الطرق الالتفافية. ان اسرائيل ماضية في توسيع المستوطنات وخاصة الكبيرة منها، واخر مخطط في هذا المجال هو توسيع مستوطنات ارئيل التي تخترق الضفة الغربية باتجاه غربي شرقي وتفصل شمال الضفة عن وسطها وجنوبها. كذلك توسيع مستوطنة معالية ادوميم نحو الشرق الواقعة الى الشرق من مدينة القدس لتفصل وسط وشمال الضفة الغربية عن جنوبها، ولتحكم الطوق حول القدس الشرقية وتنجز ما يعرف بالقدس الكبرى الموحدة، واخراج الاف الفلسطينيين من النفوذ الاداري للمدينة المقدسة.

د- عدم الاعتراف بوجود شريك سياسي فلسطيني حتى الان، والاكتفاء بالتنسيق الامني مع السلطة الفلسطينية، وكان هذا واضحا من خلال عملية فك الارتباط احادية الطرف مع غزة.

وتعمد اسرائيل الى افتعال ازمات داخلية فيها من اجل التملص من أي نوع من الضغوط الدولية عليها وتنفيذ أي استحقاقات لعملية السلام، أو لملء أي فراغ سياسي قد ينشأ من فترة الى اخرى. فمن الملاحظ انه منذ توقيع اتفاقية اوسلو تم اجراء انتخابات مبكرة في اسرائيل ثلاث مرات، وفي كل مرة تتنصل الحكومة اللاحقة من التزامات الحكومة السابقة، لتبدأ مفاوضات جديدة وبأسس جديدة، تكون دائما لصالح الاسرائيليين. وفي هذه الفترة تم الاتفاق بين الحزبين الكبيرين في اسرائيل على عقد انتخابات جديدة في ربيع عام 2006، كما اعلن رئيس الوزراء الاسرائيلي عن نيته الانفصال عن حزب الليكود و تشكيل حزب جديد لخوض الانتخابات. وتاتي هذه الخطوة بهدف ملء الفراغ السياسي الذي تعاني منه عملية السلام، والتنصل من استحقاقات خارطة الطريق، ولتحقيق نقطة استراتيجية غاية في الأهمية وهي توسيع مستوطنة معاليه ادوميم من اجل انجاز ما يعرف بالقدس الكبرى واتمام فصل وسط الضفة الغربية عن جنوبها، وتوسيع مستوطنات أرئيل وربطها

بمستوطنات الأغوار، من أجل اتمام فصل شمال الضفة الغربية عن وسطها. بهذا المخطط تكون اسرائيل قد انجزت تقسيم الضفة الغربية الى ثلاث كنتونات (شمال، وسط، جنوب).

اما فيما يتعلق باعتبار الفلسطينيين مجموعة من البشر تسكن على ارض اسرائيل، فاسرائيل تسمي الضفة الغربية يهودا والسامرة، كما ان رخص البناء التي كانت تصدرها للفلسطينيين كان يكتب عليها (ساكن غير مالك). اذن ان الاستراتيجية الاسرائيلية تجاه الارض لا تعترف بحق الفلسطينيين بالسيادة عليها، وستبقى هذه الاستراتيجية قائمة طالما تتمتع اسرائيل بتفوق عسكري في المنطقة.

اما على مستوى التحالفات الاسرائيلية مع القوى الدولية، فهناك مصلحة للقوى الدولية الفاعلة في المنطقة وخاصة امريكا وأوروبا في الحفاظ على التفوق العسكري الاسرائيلي على الدول العربية مجتمعة، وهذا ينسجم تماما مع المصالح الاسرائيلية. وتتجلى هذه الاستراتيجية في تمكين اسرائيل من امتلاك اسلحة الدمار الشامل وخاصة النووية منها، وحظر ذلك على الدول العربية والاسلامية. ولترسيخ هذا التحالف، عملت اسرائيل على تقوية نفوذها في هذه الدول من خلال اللوبيات الصهيونية الموجودة فيها والمسيطرة الى حد كبير على مراكز صنع القرار. ولم تتمكن الدول العربية حتى الان من اختراق هذه التحالفات، واقناع القوى الدولية بأن مصلحتها معها وليس مع اسرائيل.

كما تسعى اسرائيل وبالتنسيق والعمل الكامل مع الولايات المتحدة الى تحقيق سيطرة اقتصادية على دول المنطقة، وتتبع اسرائيل وامريكا في هذا المجال عدة وسائل اهمها:

- زيادة حجم التبادل التجاري مع مصر والاردن (وجود اتفاقية سلام بينها و بين اسرائيل).
- فتح اسواق جديدة لاسرائيل في دول عربية اخرى وخاصة دول الخليج العربي.
- دخول البضائع والمنتجات الاسرائيلية الى الاسواق العربية بأسماء شركات مستعارة.
- استغلال الجنسية الامريكية التي يمتلكها اليهود في التسويق. فتصدر المنتجات الاسرائيلية الى الدول العربية على انها منتجات امريكية.
- اجبار الدول العربية النفطية وخاصة دول الخليج العربي على عقد صفقات بيع اسلحة امريكية بمليارات الدولارات، حتى لا تعمل تلك الدول على استغلال العائدات النفطية في بناء اقتصاد قوي يكون رديفا للاقتصاد النفطي، وبديلا عنه عندما تنضب هذه الثروة.

ويتجاوز المجال الجغرافي الذي تتعامل معه اسرائيل حدود المنطقة العربية الى الدول الاسلامية وخاصة ايران وباكستان كونهما دولا اسلامية. واستطاعت في الاونة الاخيرة و بمساعدة الولايات المتحدة الامريكية من احداث اختراق سياسي كبير في باكستان (الدولة

الاسلامية النووية الوحيدة)، وهذا قد يمكن اسرائيل من احتواء أي خطر نووي باكستاني مستقبلي على اسرائيل. أما بالنسبة لايران، فان اسرائيل تعمل بشكل حثيث مع امريكا واوروبا على عدم تمكين ايران من امتلاك أي نوع من الطاقة النووية، حتى لو كان ذلك للأغراض السلمية. وقد تلجأ اسرائيل بايعاز من الولايات المتحدة الى توجيه ضربات جوية للمفاعلات النووية الايرانية، على غرار ما فعلت في العراق عام 1981 اذا لم ترضخ ايران للضغوط الامريكية والاوروبية.

وتعمل اسرائيل ايضا على محاصرة الدول العربية واثارة القلاقل فيها وقض مضجعها، عن طريق توثيق علاقاتها مع الدول المجاورة لها. ففي القرن الافريقي الذي يعتبر منطقة استراتيجية هامة لتحكمها بمضيق باب المندب الذي يربط البحر الاحمر والمتوسط بالمحيط الهندي وشرق افريقيا، وثقت اسرائيل علاقاتها مع اريتريا واثيوبيا، ودعمت اريتريا عسكريا في حربها مع اليمن ومكنتها من احتلال جزر حنيش اليمنية الموجودة في البحر الاحمر. وتعمل اسرائيل ايضا على دعم اثيوبيا التي بدورها تدعم حركة التمرد والانفصال في شرق السودان. ان التواجد الاسرائيلي في هذه المنطقة يشكل تهديدا لأمن كل من اليمن والسعودية ومصر والسودان.

أما داخل الدول العربية فتعمل اسرائيل على اختراق الاقليات العرقية والدينية في الوطن العربي وتشجيعها على التمرد على حكوماتها والانفصال عنها. ففي العراق، تحاول اسرائيل استغلال بعض الاكراد بذريعة التعاطف مع قضيتهم في التجسس على البلاد، وخاصة بعد سقوط البلد في قبضة الاحتلال الامريكي، وامتد نشاطهم الى كافة ارجاء البلاد بتسهيل من القوات الامريكية. وفي جنوب السودان لعبت اسرائيل والولايات المتحدة دورا هاما في دعم حركة التمرد وسجلت اختراقا امنيا كبيرا هناك، وتمكنت الحركة من تحقيق مكاسب سياسية هامة تمثلت في المشاركة الفاعلة في السلطة. وتعمل امريكا على تقديم دعم لامحدود للحركة تمثل اخيرا بفتح قنصلية امريكية في مدينة جوبا. ويعتقد ان هذه مقدمة للانفصال التام عن السودان، وتشكيل دولة ذات سيادة موالية تماما لامريكا، وتربطها علاقات استراتيجية مع اسرائيل. أما في مصر، فتثير امريكا واسرائيل النعرات الطائفية، وتشجع الأقباط على التمرد على السلطة، كان اخرها المؤتمر الذي عقده الاقباط في واشنطن والذي اتهموا فيه الاخوان المسلمين بالاساءة للأقباط. من المتوقع ان يعقب هذا المؤتمر مؤتمرات اخرى يصل فيها الانتقاد الى السلطة الحاكمة كمقدمة للضغط على الحكومة واعطاء صلاحيات وامتيازات اكبر للاقباط، ومن ثم منحهم نوع من الحكم الذاتي او حتى الانفصال عن الدولة.

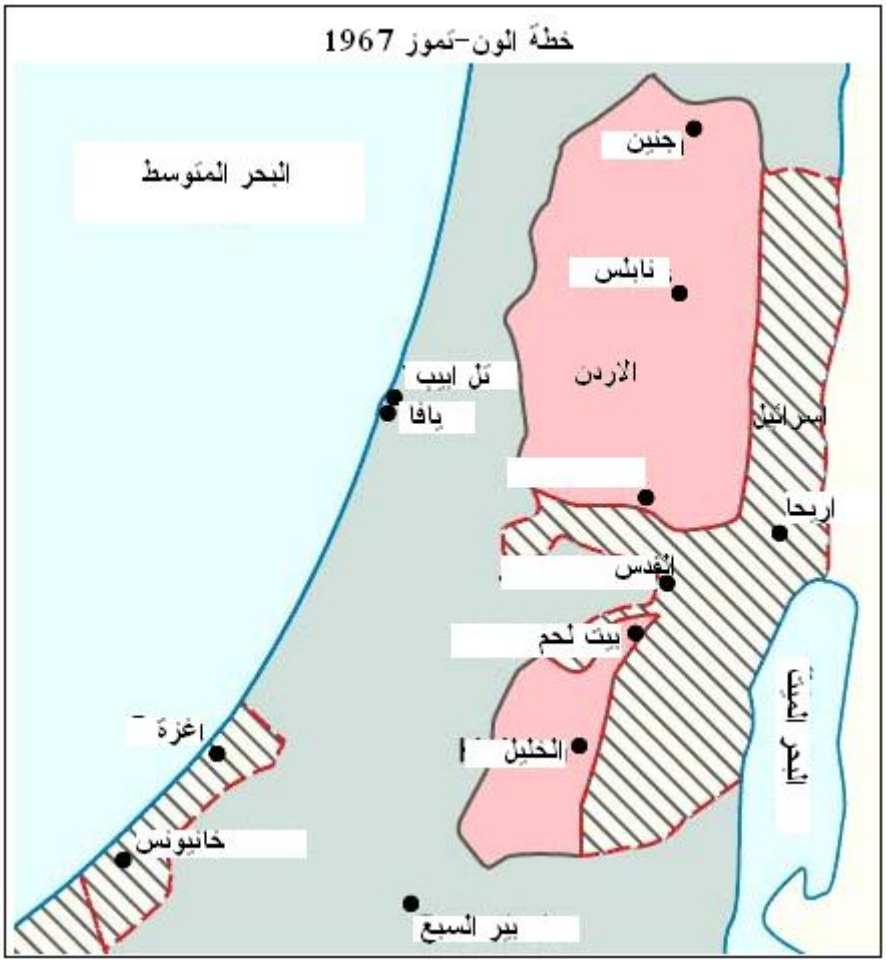
خطة الون-تموز 1967
البحر المتوسط
جنين
نابلس
الاردن
تل ابيب
يافا
اسرائيل
اريحا
القدس
بيت لحم
البحر الميت
غزة
الخليل
خانيونس
بير السبع

كامب ديفد 2000

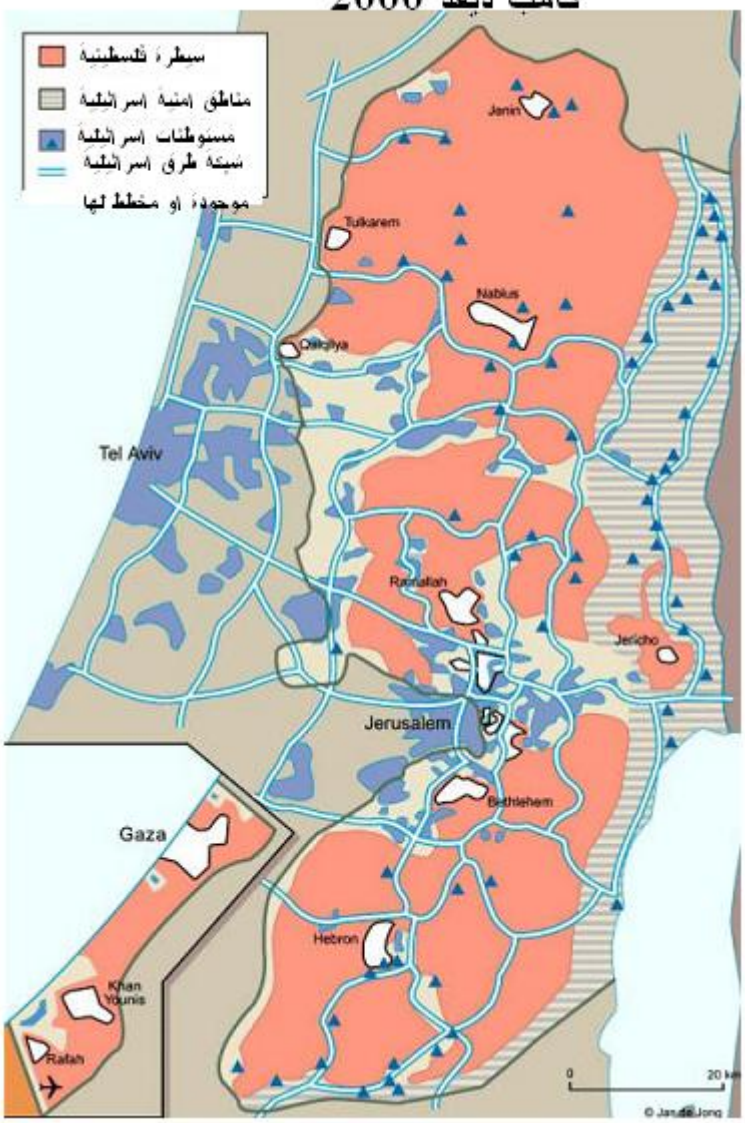

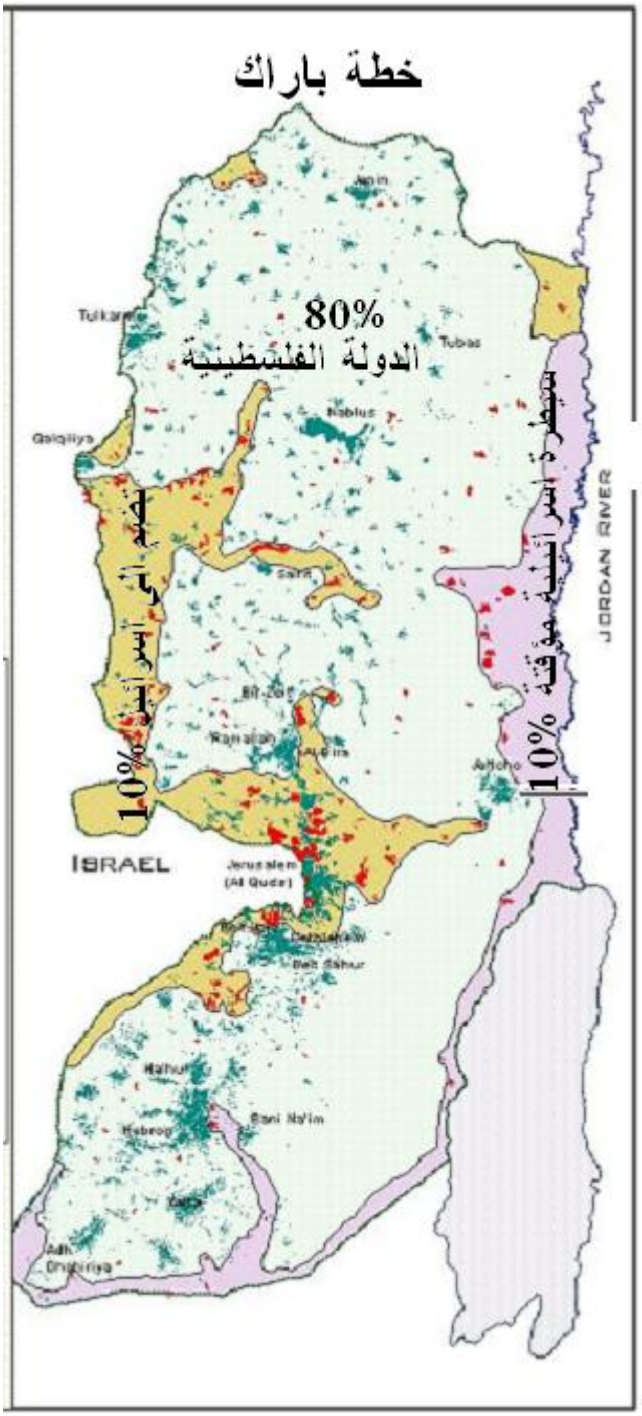
خطة باراك
80%
الدولة الفلسطينية
10%
ضم الى اسرائيل
10%
سيطرة اسرائيلية مؤقتة
JORDAN RIVER
ISRAEL
Jenin
Tulkarm
Tubas
Nablus
Qalqilya
Salfit
Ramallah
Al Quds
Jericho
Jerusalem
(Al Quds)
Bethlehem
Beit Sahur
Hebron
Beni Na'im
Adh Dhahiriya

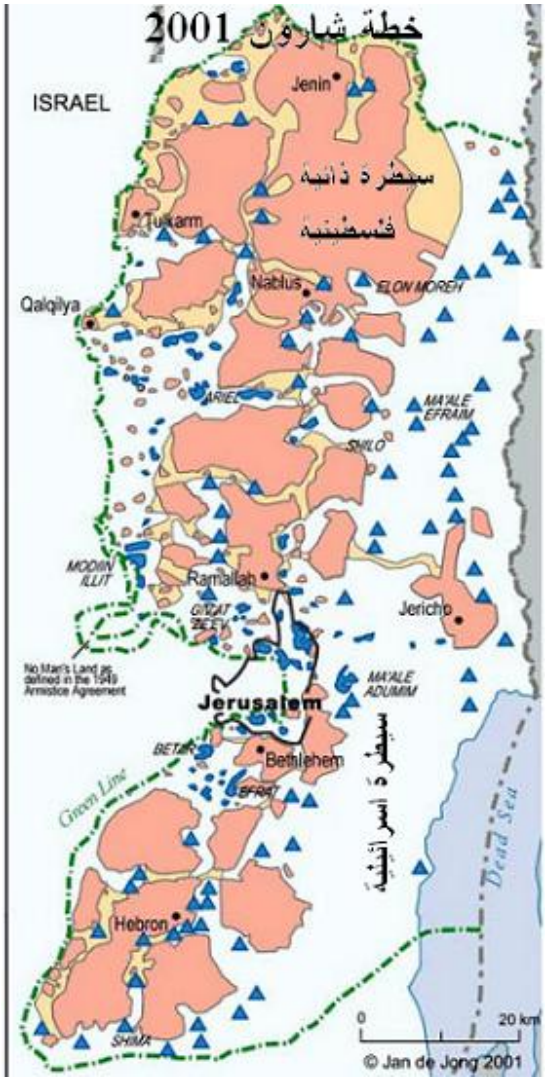
خطة شارون 2001
ISRAEL
Jenin
سيطرة ذاتية
فلسطينية
Tulkarm
Nablus
ELON MOREH
Qalqilya
ARIEL
MA'ALE EFRAIM
SHILO
MODIIN ILLIT
Ramallah
Jericho
GIVAT ZE'EV
No Man's Land as defined in the 1949 Armistice Agreement
MA'ALE ADUMIM
Jerusalem
BETAR
Bethlehem
Green Line
BFRAT
سيطرة اسرائيلية
Dead Sea
Hebron
SHIMA
0
20 km
© Jan de Jong 2001

الاحواض المائية في الضفة الغربية

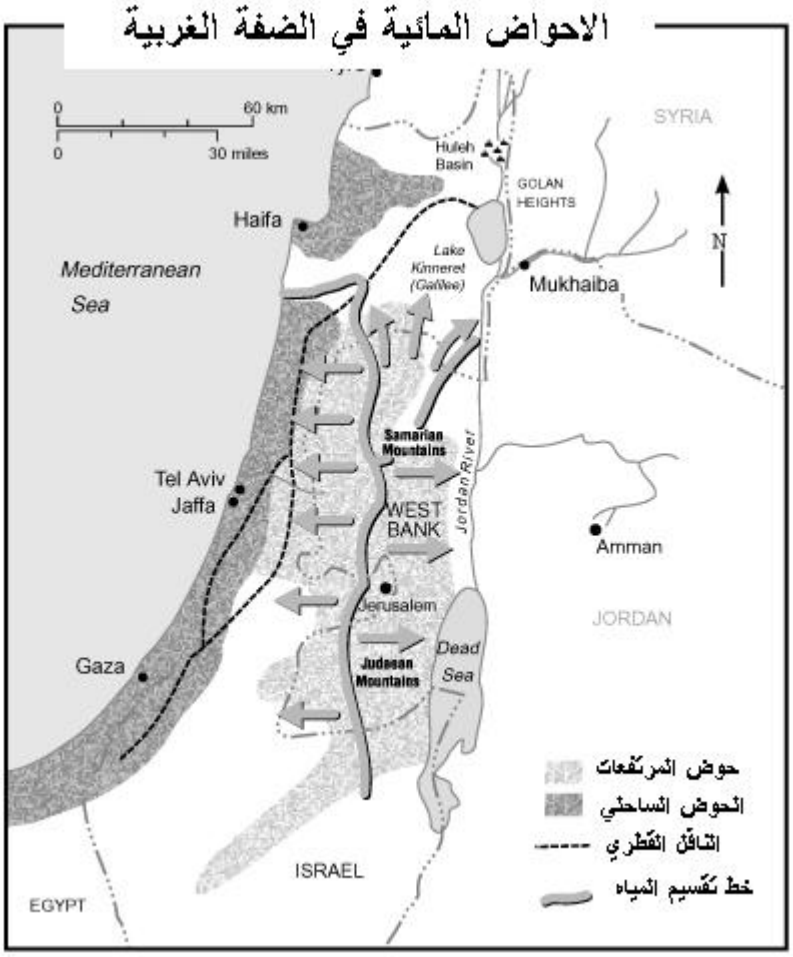

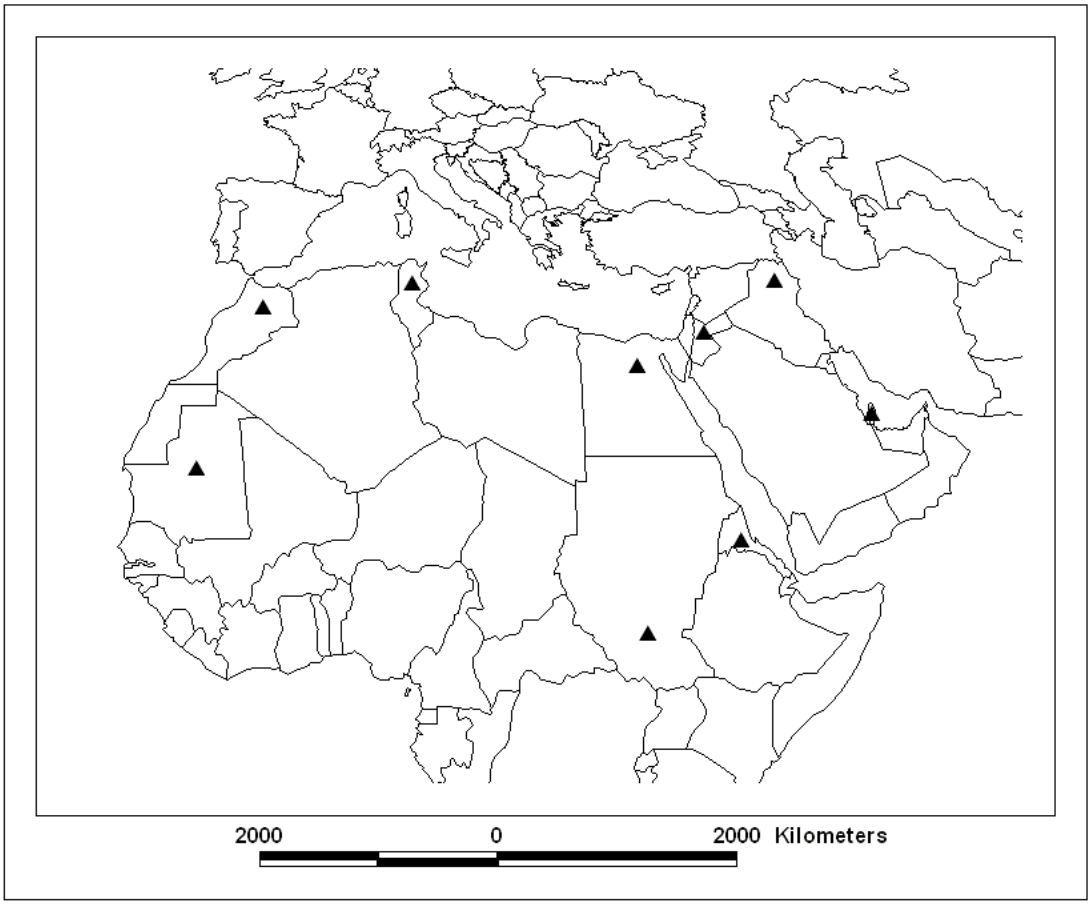

ان الخرائط السابقة التي تمثل وجهة النظر الاسرائيلية عمالا وليكوديين لحل الصراع الفلسطيني الاسرائيلي منذ عام 1967 حتى الان تؤكد جميعها على الثوابت الاسرائيلية التالية:

- وضع منطقة الأغوار تحت السيطرة الاسرائيلية الكاملة، بحيث تمثل منطقة حاجزة بين المناطق الفلسطينية والأردن.
- وضع المعابر بين الاردن والاراضي الفلسطينية تحت السيطرة الاسرائيلية.
- منع التواصل المباشر بين الاراضي الفلسطينية وجارتها العربية الأردن.
- احكام طوق كامل على الاراضي الفلسطينية حسب تلك الخطط من جميع الجهات، مما يعني تحكم مطلق وشامل بحركة الفلسطينيين في كافة مجالات الحياة.
- تقسيم الضفة الغربية الى معازل، وقطع التواصل الجغرافي الحقيقي بين مختلف انحائها.
- السيطرة على الاراضي الخصبة في كل من الأغوار والهوامش الداخلية للسهل الساحلي الفلسطيني (طولكرم وقلقيلية).
- السيطرة على حوضي الماء الرئيسيين في الضفة الغربية- الحوض الغربي والحوض الشرقي)، ومنع الفلسطينيين من المشاركة بمياه نهر الاردن.

- الضم الكامل للقدس الشرقية التي احتلت عام 1967 واعتبار القدس الموحدة (الغربية والشرقية) عاصمة ابدية لاسرائيل.
- احاطة القدس الشرقية بالمستوطنات، حيث بلغ عدد تلك المستوطنات 17 مستوطنة تضم حوالي 200 الف مستوطن، ثم ضم هذه المستوطنات للقدس الموحدة من اجل تحقيق تفوق ديموغرافي على الفلسطينيين المقدسيين.
- الاحتفاظ بالكتل الاستيطانية وضمها الى اسرائيل، وتتركز هذه الكتل الاستيطانية في الاغوار على امتداد نهر الاردن، وحول القدس وبيت لحم، وهضبة الخليل، ومحور قلقيلية نابلس. وتمثل هذه الكتل خطرا استراتيجيا على أي امكانية لقيام دولة فلسطينية في المستقبل.

مما تقدم، يتضح ان اسرائيل قد تقدم على عملية اعادة انتشار احادى الجانب من المناطق أ و ب على غرار ما فعلت في غزة، وتطرح على الفلسطينيين فكرة اقامة دولة مؤقتة في تلك المناطق التي تشكل مجموعة من الكنتونات بالاضافة الى قطاع غزة، كما هو واضح في الخرائط السابقة (خارطتي شارون وباراك).

3. ألإستراتيجية الفلسطينية تجاه الصراع: قد يعتقد البعض ان هناك تعارضا بين استراتيجية السلطة الفلسطينية واستراتيجية الفصائل الفلسطينية تجاه الصراع مع الاسرائيليين، ولكن في الحقيقة هناك توافق كبير فيما بينها. فالمتتبع للمواقف الفلسطينية السياسية الرسمية يجد انها تنقسم الى نوعين:

- مواقف تكتيكية، يتم اتخاذها لتحقيق اهداف قريبة المدى ولا يكون لها تأثير حاسم على الثوابت الفلسطينية. وتلجأ السلطة الفلسطينية اليها عند تعرضها للضغوط أي كان مصدرها، سواء كانت ضغوط محلية او اقليمية او دولية. والأمثلة على ذلك كثيرة، نذكر منها اتفاقية اوسلو لعام 1993 والتي وافقت فيه منظمة التحرير الفلسطينية على قيام سلطة فلسطينية على اجزاء من الضفة الغربية وقطاع غزة. فقد جاءت هذه الخطوة التكتيكية بعد خروج منظمة التحرير من لبنان وتضييق الخناق عليها عربيا ودوليا، ومن ثم اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الاولى عام 1987 ومحاولة قطف ثمار هذه الانتفاضة سياسيا، بعد ان اقفلت كل خطوط المواجهة مع اسرائيل امام الفدائيين الفلسطينيين. فارتأت حركة فتح وفصائل اخرى ان لا جدوى من البقاء بعيدا عن ساحة الصراع الحقيقية، ولا بد من نقل المواجهة مع الاحتلال الاسرائيلي حول القضايا الأساسية الى الداخل.

- مواقف ثابتة، وتشمل التعاطي مع قضايا الحل النهائي التي تمثل جوهر الصراع الفلسطيني الاسرائيلي، وهذه القضايا هي:
  1. قضية اللاجئين الفلسطينيين
  2. الحدود
  3. ألمياه
  4. ألإستيطان الاسرائيلي
  5. القدس المحتلة عام 1967

فالموقف الرسمي الفلسطيني من قضية اللاجئين يقوم على أساس قرارات الشرعية الدولية ذات العلاقة وبالتحديد قرار الامم المتحدة رقم 194 الذي ينص على حق اللاجئين بالعودة الى الاراضي التي هجّروا منها وتعويضهم عما لحق بهم من ضرر مادي ومعنوي خلال فترة الاحتلال، ولم يصدر عن السلطة الفلسطينية أي موقف اخر حيال هذه القضية. أما فيما يتعلق بالحدود، فالموقف الفلسطيني يستند ايضا الى قرارات الشرعية الدولية جميعها وعلى رأسها القرار 242 الذي ينص على الانسحاب الاسرائيلي من (الاراضي) التي احتلتها اسرائيل عام 1967 واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة على الجزء الفلسطيني من تلك الاراضي. وبالنسبة لقضية المياه والتي تعتبر حيوية بالنسبة للفلسطينيين ، ترفض السلطة الفلسطينية الهيمنة الاسرائيلية على المياه الفلسطينية وتطالب بتطبيق القوانين الدولية المتعلقة بهذا الموضوع. وتجدر الاشارة هنا الى ضرورة اصرار المفاوض الفلسطيني على الانسحاب الاسرائيلي الكامل والشامل من الاراضي المحتلة عام 1967 لارتباط ذلك بالتوزيع الجغرافي للموارد المائية في الضفة الغربية ارتباطا عضويا. وان أي اتفاق يبقي الاغوار والاراضي التي ضمها الجدار تحت السيطرة الاسرائيلية سوف يخلق ازمة مائية فلسطينية يصعب حلها (انظر الخرائط). أما بخصوص الاستيطان الاسرائيلي في الضفة الغربية، فالموقف الفلسطيني الرسمي يعتبره غير شرعي وبالتالي يجب ازالة جميع المستوطنات الاسرائيلية على غرار ما حدث في قطاع غزة، ذلك ان الكتل الاستيطانية كما تظهر في الخرائط تمنع قيام دولة فلسطينية دائمة وذات سيادة. وتجدر الاشارة هنا ايضا الى ضرورة التعاطي مع أي تجمع استيطاني مهما كبر او صغر من منطلق انها غير شرعية وليس من منطلق جيوسياسي، وتحاول اسرائيل ان تصنفها بطريقة تخدم مخططاتها الجيوبوليتيكية، فابتدعت مفهوم المستوطنات العشوائية وغير العشوائية الذي يوحي بأن ما هو غير عشوائي فهو شرعي. وأخيرا، فالموقف الفلسطيني من القدس الشرقية يستند الى القرارات الدولية التي تعتبر القدس ارضا محتلة عام 1967 وبالتالي ينطبق عليها القرار 242. والقدس الشرقية جزء لا يتجزأ من اراضي الضفة الغربية. وتجدر الاشارة هنا الى

ضرورة التنبه الى ضرورة استخدام توحيد المصطلحات المتعلقة بقضية القدس، وعدم الوقوع في اخطاء اصطلاحيا قد تكلفنا فقدان الكثير من الحقوق. فمثلا هناك فرق بين مفهوم القدس الشرقية ومفهوم القدس الشريف، فالاول يشير الى القدس المحتلة عام 1967، اما الثاني فيشير الى القدس القديمة الموجودة داخل السور، وشتان ما بين المفهومين.

أما فيما يتعلق بمواقف الفصائل الفلسطينية التي تستمد منها استراتيجية عملها، فقد تم تلخيصها في ما يعرف بميثاق الشرف الفلسطيني الذي وقعت عليه جميع الفصائل في مطلع عام 2005 ،باستثناء حركتي حماس والجهاد الاسلامي. وتضمن الميثاق العديد من القضايا نذكر منها:

1. صون وحماية حق العودة لكل اللاجئين الفلسطينيين الى ديارهم التي طردوا منها والعمل على استرداد هذا الحق بكل الوسائل المشروعة.
2. تحرير الارض الفلسطينية والعمل المشترك على جميع الصعد الفلسطينية والعربية والدولية.
3. التأكيد على وحدة الشعب الفلسطيني في كافة اماكن تواجده، وحمايته بكل الوسائل الممكنة.
4. الالتزام بهدف دحر الاحتلال واقامة دولة فلسطينية مستقلة كاملة السيادة وعاصمتها القدس.

وعند النظر في بنود هذا الميثاق، نجده لا يختلف في جوهره ومضمونه عن اتفاق القاهرة والذي شمل جميع الفصائل الفلسطينية بما فيها حماس والجهاد.

ان مقارنة سريعة بين الثوابت الفلسطينية على المستوى الرسمي والثوابت على المستوى الفصائلي تبين ان هناك توافقا كبيرا بينهما، على الرغم من عدم الوضوح في بعض النقاط، وخاصة البند المتعلق باقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس، فلم تتم الاشارة الى الارض التي ستقام عليها الدولة ولا القدس التي ستكون عاصمة للدولة الفلسطينية، وقد يكون هذا الغموض مقصودا، حتى يحقق اجماعا فلسطينيا وطنيا واسلاميا، كما يهدف الى عدم منح اسرائيل اعترافا مجانيا.

ان التوافق الفلسطيني الكبير حول قضايا الحل النهائي، يستمد قوته من فهم جيد للاستراتيجية الاسرائيلية تجاه الصراع والمبنية -كما ذكرنا- على عدم الاعتراف بحق الفلسطينيين بأرضهم، واعتبار فلسطين الإنتدابية جزء لا يتجزء من ارض اسرائيل. لذلك وعلى الرغم من المواجهة المحدودة التي حصلت بين السلطة الفلسطينية وحركة حماس في غزة عقب الاندحار الاسرائيلي من قطاع غزة، الا ان عناصر الوفاق بين مختلف الوان الطيف الفلسطيني سوف تنتصر، وهذا ما اكدت عليه جميع القوى الفلسطينية. ان التجربة الفلسطينية التفاوضية بقيادة حركة فتح مع

اسرائيل كانت ضرورية لكشف الاهداف الاسرائيلية الاستراتيجية، وهذا بدوره اسهم في تجنب نشوب حرب اهلية فلسطينية، فقد ادركت جميع القوى (سلطة وفصائل ومواطنين) ان حماية الارض والشعب يجب تقديمها على الاختلافات في الرؤيا والتصورات. كما ان التشخيص والفهم الدقيق للاستراتيجية الاسرائيلية قد اسهم الى حد كبير في اقدام معظم القوى الفلسطينية على المشاركة في انتخابات المجالس البلدية وانتخابات المجلس التشريعي التي من المقرر عقدها في شهر كانون ثاني 2006. فقد شعرت الفصائل الفلسطينية بأن من واجبها المشاركة في اتخاذ القرارات من اجل المحافظة على الحقوق الفلسطينية، وتحمل مسؤولياتها، وعدم الاكتفاء بتوجيه الانتقادات لاداء السلطة الفلسطينية، كما ادركت تلك الفصائل ان مقاومة فرض الحلول الاسرائيلية الامريكية على الفلسطينيين هي مسؤولية كافة شرائح الشعب الفلسطيني في الداخل والخارج. وبالتالي من المتوقع الا تؤثر تركيبة المجلس التشريعي السياسية على مستقبل الصراع حتى عام 2015.

أن نجاح اسرائيل في تنفيذ مخططها الرامي الى اعادة انتشارها في الضفة الغربية على غرار ما فعلت في قطاع غزة قد يعني:

1. السيطرة الاسرائيلية على 58% من اراضي الضفة الغربية بما فيها القدس ومنطقة الأغوار والكتل الإستيطانية والمناطق التي دخلت في الجدارالعازل.

2. حصار 2.4 مليون فلسطيني في الضفة الغربية في مساحة لاتتجاوز 2400 كم² في الشريط الأوسط من الضفة الغربية الممتد من جنين شمالا مرورا بنابلس ورام الله والقدس وبيت لحم وانتهاء بالخليل. وهذا يعني رفع الكثافة السكانية من 400 نسمة/ كم ² قبل إعادة الإنتشارالى 1000 نسمة/ كم².

3. حرمان الفلسطينيين من التوسع العمراني الأفقي وخاصة في الشريط الشرقي المتمثل في منطقة الأغوار، والذي يعول عليه في استيعاب الزيادة السكانية الكبيرة سواء في الضفة الغربية او قطاع غزة. إن وضعا كهذا يمكن أن يخلق حالة سكانية كثيفة مشابهة لقطاع غزة بعد عدة سنوات، خاصة في ظل معدلات الزيادة السكانية الكبيرة في الضفة الغربية والتي تزيد عن 3% سنويا (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني1999).

4. دفع الفلسطينيين الى الهجرة وخاصة المتعلمين منهم والمزارعين، في ظل ارتفاع نسبة البطالة بشكل كبير، فقد اشارت تقارير الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني الى ان معدل البطالة في الضفة الغربية وقطاع غزة قد تجاوزت 24%، هذا بالإضافة الى ارتفاع نسبة الفقر الى اكثر من 63% (مفتاح 2004). وقد بدأت تظهر مؤشرات للهجرة الفلسطينية وخاصة بين أوساط الشريحة المتعلمة الى بعض الدول الغربية الأوروبية واستراليا والولايات المتحدة وكندا،

حتى أن نقاش هذه المسالة بين أوساط المثقفين بدأ يظهر بصوت عال. ومن الواضح أن هذه الدول قد سهلت شروط الهجرة من الأراضي الفلسطينية المحتلة، ويخشى أن يكون ذلك بالتنسيق مع سلطات الإحتلال الإسرائيلي.

5. ضرب القطاع الزراعي من خلال الجدار العازل الذي نهب الأراضي الزراعية الخصبة خاصة في منطقتي طولكرم وقلقيلية. فهذه المناطق تمارس فيها الزراعة المروية الكثيفة وانتاجيتها تضاهي انتاجية الأراضي في المناطق المحتلة عام 1948. كما عمل هذا الجدار على وضع عدد كبير من الآبار الجوفية تحت السيطرة الإسرائيلية، فمثلا خسرت قلقيلية حوالي 30% من مياهها الجوفية بسبب الجدار. هذا بالإضافة الى منع المزارعين الفلسطينيين من الوصول الى مزارعهم المحاذية للجدار وزراعتها، مما أدى الى ضياع مساحات زراعية إضافية. كما أن المزارعين الفلسطينيين لم يعوددوا قادرين على تسويق منتجاتهم بحرية، فمن ناحية اوقفت اسرائيل استيرادها للمنجات الزراعية الفلسطينية، ومن جهة أخرى وضعت اسرائيل العراقيل امامة حركة المنتجات بين انحاء الضفة الغربية وبين الضفة الغربية وقطاع غزة من خلال مئات الحواجز العسكرية الثابتة والطيارة المنشرة على شبكة الطرق، ناهيك عن عدم وجود أسواق عربية او اجنبية للمنتجات الزراعية الفلسطينية. فالمزارع اليوم يعيش اتعس ايام حياته، فهو من ناحية غير قادر على زراعة الارض، ومن ناحية أخرى لا يتلقى الدعم والمساندة الكافية.

6. إضعاف النسيج الإجتماعي في الأراضي المحتلة عن طريق وضع المعوقات أمام حركة السكان وتنقلهم بين المدن والقرى، وانتشار الفوضى والفقر والبطالة والفلتان الأمني.

أمام تلك التحديات المصيرية التي يواجهها الشعب الفلسطيني، فإن تعاطي الفلسطينيين معها يمكن أن يأخذ أحد الأشكال التالية:

1. وضع خطط واستراتيجيات مواجهة علنية و واضحة المعالم مضادة وجراحية للمخطط الإسرائيلي. وفي هذه الحالة من المتوقع ان تفشل تلك الاستراتيجيات والخطط بسبب اختلال ميزان القوى الى صالح إسرائيل، وقدرة اسرائيل على إحداث تغييرات جيوسياسية عميقة وجذرية على الأرض تنقل الفلسطينيين من خط المواجهة الحالي الى خط مواجهة أصعب وأكثر خطورة، وهذا ماحدث منذ أوسلو حتى اليوم، وخاصة اذا ترافق مع بقاء الموقف السلبي الذي تقفه الأنظمة العربية حاليا تجاه القضية الفلسطينية، وعدم قدرتها على التحرر من العبودية الأمريكية لها. في هذه الحالة قد تنتقل اسرائيل وبسرعة الى مرحلة المواجهة العلنية والبدء في عمليات ترحيل جماعية للفلسطينيين لتحقيق ما يسمى بإسرائيل اليهودية النقية احادية القومية.

2. وضع استراتيجية سياسية وجيوسياسية تنفذ بالتوازي على المستوى الوطني والاقليمي والدولي تؤدي على مدى عشر سنوات الى خلق حالة جديدة بشكل تدريجي يصعب على الإحتلال مواجهتها والسيطرة عليها. ويمكن توضيح معالم هذه الإستراتيجية كما يلي:

أ- على الصعيد الوطني:- سياسيا: الإتفاق على برنامج سياسي فلسطيني موحد بين الفصائل السياسية الوطنية والاسلامية، انطلاقا من قاعدة أن اسرائيل غير راغبة في السلام ولن تسلم بالحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني بغض النظر عن هوية الفصيل الفلسطيني الذي يحكم.

- اقتصاديا: العمل على تأسيس اقتصاد مقاومة يمكن الفلسطينين من توفير الحد الادنى من متطلبات الحياة اليومية، عن طريق خلق المشاريع الصغيرة في كل بيت فلسطيني تغيير السلوك الإستهلاكي، وعدم محاولة بناء اقتصاد دولة يكلف الخزينة الفلسطينية مليارات الدولارات وينتهي بالتدمير من قبل الإحتلال الاسرائيلي، كما حصل اثر الإجتياح الإسرائيلي للمدن الفلسطينية في عام 2002. كما أن دعم المزارعين الفلسطينيين وخاصة الذين تضرروا من الجدار العازل، أصبح ضرورة وطنية وعربية ملحة من أجل تثبيتهم على أرضهم.

- سكانيا وإسكانيا: العمل على ترميم الخرب الفلسطينية وتطويرها والتي تنتشر في كافة أرجاء الضفة الغربية و يبلغ عددها 162 خربة (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني 2004). يمكن أن تشكل هذه الخرب نوايات عمرانية جديدة تؤمن الحماية للمناطق العمرانية المجاورة وتضع العراقيل أمام التوسع الإستيطاني اليهودي. كما أن اقامة الإسكانات التعاونية ليس فقط في مناطق أ وانما في مناطق ب ايضا و المسموح البناء فيها حسب اتفاقية اوسلو، يعمل على تكوين غلاف عمراني فلسطيني مقاوم.

- اجتماعيا وثقافيا: استحداث برامج اجتماعية وتعليمية وثقافية مقاومة تعمل على ترسيخ انتماء الفلسطيني لأرضه وشعبه وأمته، وإشعار الجميع بأن الخطر يتهدد الجميع دون استثناء، وخلق حالة من التحدي والإصرار على الثبات على الأرض مهما كلف ذلك من تضحيات.

ب- على الصعيد الإقليمي: عدم تعريض العلاقات الفلسطينية العربية والفلسطينية الإقليمية لأي مخاطر من شأنها إضعاف الصمود الفلسطيني، والعمل على تنسيق المواقف انطلاقا من حقيقة ان الخطر الصهيوني لا يتهدد الوجود الفلسطيني فقط، وإنما يتهدد الدول العربية والإسلامية المجاورة أيضا.

ج- على الصعيد الدولي: اقناع العالم بعدالة القضية الفلسطينية، وحشد التأييد السياسي لها من خلال استخدام لغة الحوار وإبراز رغبة الفلسطينيين بالسلام، وقطع الطريق أمام اسرائيل للإستفراد بالساحة الدولية.

4. الخلاصة

مما تقدم يتضح ان حلا دائما للقضية الفلسطينية بجوانبها المعقدة حتى عام 2015 (اللاجئين، والقدس، والحدود، والمستوطنات، والمياه) يبدو بعيد المنال، في ظل العقيدة الصهيونية التي تحكم اسرائيل، وفي ظل موازين القوى في المنطقة والعالم، والتي تصب جميعها في صالح اسرائيل. وسوف تضطر السلطة الفلسطينية للتعاطي مع ما يطرح عليها من دون التفريط بالحقوق الفلسطينينة التي سبق ذكرها. كما انه من غير المتوقع قبول الجانب الفلسطيني بفكرة الدولة المؤقتة، لأن ذلك يعني امكانية الغائها في أي وقت، كما تعني عدم تحقيق سيادة على الارض. وفي هذه الحالة قد يلجأ الجانب الفلسطيني الى اعلان دولة فلسطينية على الجزء الذي قد تنسحب منه اسرائيل وتعلن عاصمتها القدس، وأن النضال سوف يستمر الى حين تحرير كامل الاراضي التي احتلت عام 1967.

5. الهوامش:

- د. اريه نائور 2001، ارض اسرائيل الكاملة، اصدار جامعة حيفا وزيمورا بيتان.
- صحيفة الوطن العمانية 2003/12/12.
- تجمع صنعاء وأمن البحر الأحمر، صحيفة الصحافة للديموقراطية والسلام والوحدة، 2005.
- د. غازي حسين 2005، الشرق الأوسط الكبير بين الصهيونية العالمية والامبريالية الامريكية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
- معهد البحوث التطبيقية (اريج) 2003.
- مركز المعلومات الفلسطيني، 2001.
- المبادرة الوطنية لتعميق الحوار العالمي والديموقراطية/مفتاح 2004.
- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2004، الإحصاءات الجغرافية في الأراضي الفلسطينية، رام الله، فلسطين.
- ألجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 1999، ألسكان في الأراضي الفلسطينية 1997-2025، رام الله- فلسطين.